التعريف بالشيخ عبيد الله الملتاني وحواشيه التفسيرية

And introduction of Sheikh Ubaidullah Multani and His explanatory notes on the holy Quran

Hafiz Zahid Mahmood
PHD scholar, Department of Arabic
University of the Punjab, Lahore
Email: Zahidqadri53@gmail.com
Dr. Abdul Majid Nadeem
Professor, Department of Arabic
University of the Punjab, Lahore
Email: pabdulmajid@gmail.com

Abstract
Sheikh Ubaidullah Multani is one of the eminent scholars of the Indian subcontinent. He was born in 1808 AH and died in 1888 AH. It was the time of British imperialism in the subcontinent. No doubt it was an era of decline for Muslims of these lands. Sheikh Ubaidullah Multani wrote many books to bring reform in the Muslim community and played his role to bring about the supremacy of Islam. He wrote in three languages: Arabic, Persian and Srikie; the latter being the common and local language of the Sheikh's province. This article will shed light on his efforts for Islam and Muslims.
The article will be divided into three parts. In first part we will discuss the personality of Sheikh Ubaidullah Multani and the second part will be about his academic works and the third will be about his explanatory notes on the holy Quran.

ملخص البحث:

الشيخ عبيد ملتاني من العلماء البارزين في شبه القارة الهندية. ولد عام 1808هـ وتوفي عام 1888هـ. وذلك العصر كان عصر الإمبر لية البريطانية في شبه القارة الهندية. لا شك أنه كان عصر الانحطاط السياسي في الهند. فكما ورد في الحديث: "العلماء ورثة الأنبياء"[1] نصب الشيخ نفسه لإصلاح المجتمع فكتب الشيخ عبيد ملتاني العديد من الكتب لإصلاح المسلمين والمجتمع وأدّى دوره في نشأة الإسلام والعلوم الإسلامية. كتب الشيخ بثلاث لغات: العربية، الفارسية والسريكية وهي اللغة العامة والمحلية في عاصمة الشيخ. هذا المقال سوف يلقي الضوء على جهوده للإسلام والمسلمين. سوف تنقسم هذا

المقال إلى ثلاثة أجزاء. في الجزء الأول سنناقش شخصية الشيخ عبيد ملتاني وفي الجزء الثاني سنتحدث عن أعماله العلمية ثم الجزء الثالث حول حواشيه التفسيرية على القرآن الكريم.

المبحث الأول: التعريف الموجز بالشيخ خواجه عبيد الله الملتاني: كان الشيخ الخواجه عبيد بن قدوة الملتاني صوفيا ذا أثر و نفوذ من الطريقة الجشتية في جنوب بنجاب. والجشتية نشأت في مدينة جشت من مضافات هرات في أواخر قرن السادس (هجري) الاثني عشر (عيسوي) ودخلت هذه الطريقة الهند على يد معين الدين الجشتي السجزي.[2]

مولده ونشأته: ولد الشيخ بملتان في جنوب غرب بنجاب في بيت عائلة من العلماء وكان ولدا نيا لمحمد قدرة الذي درّسه مباد ت دين الإسلام. قال محمد عادل، أحد المترجمين لحيات الشيخ، وهذا محمد عادل كان من أقارب الشيخ عبيد الملتاني، ابن عمّ سجادة نشين[3] الشيخ عبد العلي حالياً:

"مرّةً نظر أحد الشيوخ إلى جبين الشيخ الملتاني وكان طفلا حينئذٍ وأخبر وأنبأ أنّه سيكون هذا الطفل رجلا صالحا"[4]

رحلاته العلمية: وقيل إنّ الشيخ حفظ القرآن الكريم كلّه في طفولته. ثم بعد انتقال أبيه إلى دار الآخرة تلقى العلم من الشيخ خدا بخش الجشتي الملتاني ولكن رحلة الشيخ المذكور فجأةً بسبب تسلّط "سيك"[5] على مدينة ملتان جعلت الشيخَ عبيد مضطرّاً إلى طلب شيخ آخَر فقد سافر إلى أحمدفور، مدينة من مدن جنوب غرب بنجاب، حيث أدرك الشيخَ غُل محمد وأخذ عنه علم الحديث ثم رحل إلى خيرفور في جنوب بنجاب لكَي يزداد علماً لدى شيخه السابق خدا بخش الملتاني فتعلم منه العلوم الظاهرية و الباطنية وحفظ الحديث على ظهر قلبه مقيماً في حضرته ليلاً و نهاراً هكذا ذكره الشيخ عن مشائخه في سيرته الذاتية المسمىـبـ"سرِ دلبران"[6]. و يع الشيخ عبيد على يد الشيخ خدا بخش في شباب عمره فأقام عنده لأجل التربيّة السلوكية لمدة اثني عشرة سنة وتخرّج في العلمين الديني والروحاني تحت إشرافه حاصلا في النهاية على خلافة مة منه وهذا كان في الخامس عشر من عمره[7] والجدير لذكر أن الشيخ خواجه خدا بخش هو تلميذ للشيخ الحافظ جمال الملتاني رحمه الذي كان من تلامذته العلامة عبد العزيز الفرهاروي صاحب الكتب الكثيرة.

تأثره بالتصوف:

اتفق المترجمون له على أخذه البيعة في الطرق الأربعة القادرية والسهروردية النقشبندية والجشتية مع أنّ الشيخ كان يفضّل الأخيرة على غيرها من الطرق. رقم الشيخ نفسه في كتابه "سرّ دلبران" (سرّ الاحباء) أنّه كان مجازاً كاملا لإلقاء دروس شيخه في ملتان وجنهك (لكاف الفارسي) التي هي وسطى

كستان حالياً. معهذا لم يبدأ في أخذ مريدين الطريقة عاماً بل بدأ بقليل من الاتباع وشغل بتربيتهم. أما كيف كان في عمله و معاملاته فكان متشددا في قبول الخدمات والهَدا حيث عرّف و حدّد القواعد والأصول حول هذا البحث في رسالته المسماةبـ"مذاهب الاولياء في قبول الهَدا "

المبحث الثاني: مصنفاته وآثاره العلمية:

كانت كتب الشيخ التي لاتعرف كلها، توصف صاحبها حقيقة وهي ثقافة المشايخ الجشتية في العصر الراهن بِبَنجاب. المترجمون له ربّما لغوا في عدد كتبه ولكن لا شك في انّ الشيخ الّف الكتب والرسائل الكثيرة في العربية والفارسية والسريكية نظماً ونثراً، أكثرها ما زالت مخطوطة. تحدث الشيخ في العديد من الموضوعات وله مشاركة علمية في الموضوعات الكثيرة العريضة، أغلبها في التصوف ولكن له شعر أيضا وفي المعاملات والرسوم الدينية والقرآن والحديث وأصول الفقه والإخلاق وغيرها. أما من الموضوعات التي حصل فيها البحث ودار فيها الكلام في زمن الشيخ كان بحثه في مكانة المرأة ومناظراته ضد الأفكار الحديثية، نحاول أن نحصي أعمال الشيخ فيما تي:

تفسير: الحواشي التفسيرية على القرآن الكريم، تفسير قاب قوسين، أدعية قرآنية.

العقيدة والكلام: رد الضالّين، فقه التقليد وبطلان القول الجديد، دلائل الإيمان في الهداية والإيقان، تلخيص البيان في نبذة من علامات مهدي آخر الزمان، إلهام الصواب.

التربية والأخلاق: تعليم الصبيان، تعليم النساء، هداية الطلاب، إعانة المريدين في رد الشياطين ، وصا عبيدية الموسومةبـ "دفع الفساد والجدال"، لزوم حسنِ ظن بر سخن هائى مقبولانِ ذي المنن.

التصوف: رسالة في التصوف، رسالة الغنى والفقر، مذاهب الأولياء في قبول الهدا ، قول فصل في البيعة والسماع وشرح مفصل، ذوقيه شريف، حكمة وفائده نسيان، رسالة الدخان، آداب المريدين، رسالة توفيقية

الفقه: تعيين أوقات الصلوات الخمس، مسفار الحج، رد الإنكار على حلق الرأس، ضغث مضروب.

السيرة: سلسلة نسب فخر العجم والعرب، تحقيق الآداب.

والتراجم: سرِّ دلبران وهي في الحقيقة سيرة ذاتية للشيخ، وفيات الأعيان.

الشعر والأدب: قصائد عبيدية، ذكرِ لطائف، مثنوي عبيدية كلان(كبير)، مثنوي عبيدية خورد(صغير)، تهذيب وترصيف أبيات علم الميراث، ديوان جراغ عبيدية المعروف به داستانِ معرفت، عيوب النفس، تحفه ز ن، سى حرفى در معرفت، شرح أشعار حضرت الشيخ علي حيدر، شرح أشعار حضرت خواجه حافظ شيرازي عليه الرحمة، شرابِ طهور، منظومة سلسله عالية.

الأوراد والوظائف: فتح العبيد، أوراد تمام سال وأدعية.

اللغة: رسالة في النحو وهي مشتملة على ثلاث وثلاثين بيتا في اللغة السرائيكية.

ثم هناك كتب أخرى للشيخ مثلا تحقيق أسماء شهور قمرية، سير السماء، رفيقية شرح توفيقية،رسالة در منطق، وغير ذلك. وإنما اقتصر الكلام في هذا المقال على ذكر الأسماء فقط وقد حققنا وعرّفنا جيمع هذه الكتب في الأطروحة للدكتوراه.

خصائله:

كان الشيخ خذ البيعة و يعلم أحبابه بمسجدٍ قرب بيته عند ب "بُحار" و في زاوية في "قادرآ د" من مضافات ملتان. ثم بعد ذلك بنى المساجد الثلاثة المسمومة ِسمه في قادرآ د و خيرفور وجنهك (لكاف الفارسي). كان الشيخ يقول لسماع وأنّ البيعة تنبغي وفقاً للشريعة فتأثرت به عقول المشايخ أثراً شديداً في ملتان اليوم. كان الشيخ يحضر أعراس الاولياء وكان يهتم بسفره اليها في المحمل وكان كثيراً ما يلبس القميص الأبيض مع الإزار الأزرق ويرتدى قلنسوةً لها زوا أربعة كان يمضي حياته فيها.

حياته العائلية:

تزوّج الشيخ مرتين وكان له ابنان و بنتان من زوجته الثانية، أحدهما هو عبد الرحمن الملتاني العربي (1912) الذي قام مقام أبيه وجلس في مكانه وعلي يده نشرت الطريقة العُبيدية خارج إقليم بنجاب، له أتباع كثيرة وكتب مفيدة، توفي عبد الرحمن يوم الجمعة السادس من جمادي الأول 1305 ه في سفره عائداً من الحج ودفن في جدة. وكان مثل أبيه في العلم والعمل.[8]

ثناء العلماء عليه:

عاش الشيخ في الغرابة وقد غلب عليه الخلوة والتصوف. على رغم ذلك كان معروفا عند أر ب العلم وأصحاب التراجم وقد عدّه الشيخ عبد الحي اللكهنوي الحسني من العلماء الكبار في الهند وذكره بهذه الكلمات:

"الشيخ عبيد الملتاني، الشيخ الصالح عبيد بن قدرة الحنفي الملتاني أحد المشايخ الجشتية، ولد ونشأ لملتان وقرأ العلم على والده، ثم أخذ عن المولوي كل محمد وكان شيخا جليلا مها رفيع القدر كبير المنزلة عظيم الورع والعزيمة، له مصنفات عديدة."[9]

تلامذته: كان الشيخ ماهرا في تدريس شتى العلوم حتى علم النجوم والحساب وقد ذكر هو عن نفسه أن شيخه كان يؤكده لهذه العلوم في "سر دلبران"[10] ثم ل الشهرة بتدريس علم الميراث وله أبيات في تسهيله. فاستفاد منه كثير من الناس. ذكر صاحب "تذكره أولياء ملتان" أن الشيخ خواجه غلام فريد،

صاحب الديوان أيضا من تلاميذه ودرس عنده بعض الكتب.[11] واسترشد منه كثير من الناس لا يمكن إحصائها.

رحلته ووفاته:

أما الشيخ عبيد الملتاني قد ارتحل إلى رفيقه الأعلى يوم الجمعة، أربع وعشرين من ربيع الثاني سنة خمس وثلاثمائة[12] وهو في ملتان ودفن في مابين جدرانه، ومن حسن الاتفاق توفي يوم عرس الحافظ جمال محمد الملتاني. وفي هذا العرس كان الشيخ يحضره كل عامٍ فحمل ور ءه جسده إلى ضريح الحافظ جمال فكأنه شارك فيه ذلك العام أيضاً ودفنوه بين المسجدَين الذَين بناهما الشيخ المرحوم في حياته رحمه تعالى

المبحث الثالث: التعريف الموجز بالحواشي التفسيرية للشيخ خواجه عبيد الله الملتاني:

إن هذا المخطوط للشيخ عبيد الملتاني رحمه حول القرآن الكريم وكان الشيخ الخواجه عالما، مفسرا وصوفيا، ولشدّة رغبته إلى القرآن الكريم كما هو دأب السّادة الصوفية مال إلى كتابة الحواشي التفسيرية حول القرآن الكريم وخلال تحقيق المخطوط لاح هذا الأمر أن الشيخ كان يسجل حواشيه التفسيرية في المصحف الذي عنده للتلاوة، فربما كان يسجل في حوالي الصفحة و رة بين السطور، فحصل هذا التفسير القيم من قبل المصنف رحمه .

منهجه:

خلال تحقيق المخطوط ن لنا أنه كان للشيخ مكتب قيم للكتب التفسيرية والمصنف رحمه كان مستغرقا في مطالعة تلك الكتب عندما كان مشغولا في كتابة هذه الحواشي التفسيرية. وهذه الحقيقة تظهر في اقتباساته من عدّة كتب التفسير؛ فالتفسير الذي كان الشيخ مشغولا في مطالعته يظهر اقتباساته ومنهجه في حواشيه؛ لذا نجد أن منهجه لم يكن مستقيما في صنف واحد من أصناف التفسير بل ربما يقنع المصنف رحمه في ذكر معاني القرآن الكريم كالجلالين و رة تي لتفصيل و يذكر أكثر من المعاني فقط ومرة يكتب أساب النزول لآ ت القرآن الكريم وكذلك نجد أنه رة يميل إلى التصوف ويغلب على قلمه التفسير الإشاري فيكتب ما يحكم به السادة الصوفيه في تفسيير الآ ت القرآن الكريم. وهذا المنهج نجده في خمسة أجزاء: من الجزء السادس عشر إلى جز العشرين. ثم لا يخفى أن ما كتبه الشيخ من الحواشي لم يكن مكتبو في مرة واحدة بل لعله كتبه في عدة مرات مثلا هو كتب الحاشية على الآية الكريمة ثم نجد أن على نفس الآية حاشية أخرى ولكنه غير ما كتبه أولا، والأول أيضا لم يكن منسوخا عند المصنف بل هو أيضا بت. خلاصة القول في منهجه أنه أولا رجّح ذكر معاني القرآن الكريم على منهج الجلالين ثم

سجّل عليه الحواشي الجديدة وتلك الحواشي من عدّة أنواع التفسير فبعض الأجزاء مملو من التفسير الإشاري وبعض آخر من صنف آخر حتى صدر منه في بعض مالمقامات من الأقوال التي تعدّ من هفوات المعتزلة كما تكلم بها جار الزمخشري في الكشاف والمصنف ذكرها من الكشاف من غير ردٍّ عليه.

ميزات الحواشي التفسيرية لخواجه عبيد الله الملتاني رحمه الله:

أما الكلام عن ميزات الحواشي فهو فيما يلي:

1: الإجمال: لقد أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، على رسول عربي، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[13] ومن هنا يثبت أن استجلاء الدلالة واكتساب المعنى من القرآن والسنة، متوقف على مدى الدراية والتمكن من اللغة العربية، في مستو تها ومكو تها؛ لذا اعتنى علماء الشريعة للفظ العربي من حيث معانيه ودلالاته، عناية لغة؛ لكونه العمدة في عملهم، ومناط الحُكم الشرعي ودليله، فوضعوا لنا القواعد التي تُعِين على فَهْم النص الشرعي فهمًا صحيحًا، فكلما لم يفهم تلك المعاني لا يقدر أحد أن يفسير الآ ت القرآنية. وبعد هذا يمكن لنا القول أن هذه الحواشي حول القرآن الكريم ليست لتفصيل التي يخرج به القاري من التفسير إلى أي مكان آخر، كما نجد عند بعض المفسرين عندما يتكلمون ويخوضون في الأبحاث الفلسفية العقلية. فالمصنف رحمه التزم على نفسه ذكر المعاني للقرآن الكريم التي لا بدّ من فهما للقاري ثم يذكر التفسير في بعض المقامات لكنه لم يترك ذكر المعاني؛ فلذا يمكن أن يقال أن هذا الإجمال يزين الحواشي عند القاري، فالقاري لا يزال مشغولا في فهم مفردات القرآن الكريم بسبب هذا الإجمال.

التفصيل:

كما نجد أن هذه الحواشي لإجمال كذلك نجد أنها مركبة من الإجمال والتفصيل أما الإجمال فقد مرّ ذكره من قريب. وأما التفصيل فتفصيله أن المصنف رحمه أحيا تي بتفسيرات أخرى بعد ذكر المعاني. فأحيا يذكر أسباب النزول لآ ت القرآن الكريم و رة يبين الروا ت التي لها صلة لآ ت القرآنية، و رة يفصح ببعض القصص الواردة إجمالا في القرآن الكريم فالمصنف رحمه تي بتفصيلها في بعض المقامات.

المصادر الغريبة: استفاد الشيخ في حواشيه من المصارد التي لم يبق الآن إلا أسمائها مثلا تفسير الكواشيي[14]، تفسير القفال الشاشي[15]، وتفسير الدينوري وغير ذلك وقد ذكر المترجمون أسمائها وتفصيلها ولكنها الآن كنز مخفي من كنوزات التراث العربي ولكن المصنف رحمه استخرج الكلمات منها فيظن أن مكتبة المصنف رحمه كان يجدها.

التفسير الإشاري: كان الشيخ رجلا متصوفا، "ولكلّ آية منها ظهر وبطن"[16] معروف عند الصوفية؛ لذا ذكر في حواشيه الأقوال التي تتعلق لتفسير الإشاري وكثيراما خذه من "بحر الحقائق" للشيخ نجم الدين ونجد ذلك المنهج في حواشيه بعد ما تمّ نصف القرآن أي بعد سورة مريم في الجزء السادس عشر. ثم قد تكلم الشيخ عن القراءات والقصص والمسائل الفقهيه وما يتعلق بعلم الكلام والعقائد وغير ذلك.

الهوامش

[1] : ابن ماجة، أبو عبد محمد بن يزيد القزويني(المتوفى :273هـ) تحقيق: محمود خليل، الطبعة: مكتبة أبي المعاطي، رقم الحديث:223

[2] : معين الدين: هو الشخ حسن بن شيخ غياث الدين السنجري (المتوفى:627 ه) الشهير بخواجه غريب نواز، متصوف معروف ولد في سيستان ونشر طريقته الطريقة الجشتة في الهند التي أسّسها خواجه أبو أسحاق الدمشقي في جشت، قرية من قرى هرات، توفي في أجمير، الهند. وقبره محجة للمسلمين والهندوس معا. جورج طرابيشي،(المتوفى:2006م) معجم الفلاسفة، الطبعة:2016م، دار الطليعة، بيروت، ص:262

[3] : سجادة نشين في مصطلح الصوفية من يجلس على سجادة الصلوة بعد شيخه وهو رأس الطريقة.

[4] : محمد عادل، عباد الرحمن، الطبعة: 1990، ملتان، ج:1، ص:49

[5] : طائفة من الملاحدة المتبعة " غورو نك"

[6] : خواجه، عبيد الملتاني(المتوفى:1305 ه)، سرِّ دلبران مترجم محبو نِ خدا کی راز، الطبعة:1434 ه، مكتبه فيضانِ سنت، ص:50

[7] : محمد عادل، عباد الرحمن، الطبعة: 1990، ملتان، ج:1، ص:63

[8] : السيد، امتياز حسين شاه، تذكره أولياء ملتان، الطبعة: كتب خانه حاجي نياز أحمد ملتان، ص:124

[9] : الحسني، عبد الحي(المتوفى:1341 ه)، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، الطبعة:1420 ه،دار النشر،بيروت، ج:8، ص:1299

[10] : خواجه، عبيد الملتاني، سرِّ دلبران مترجم، ص:111

[11] : السيد، امتياز حسين شاه، تذكره أولياء ملتان، ص:124

[12] : الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج:8، ص:1272

[13] : سورة الشعراء: 192 - 195

[14] : ذكره الزركلي، زركلي، خير الدين بن محمود (المتوفى:1396هـ)، الأعلام، الطبعة:2002م، دالعلم للملايين، ج:1، ص:274

[15] : ذكره السبكي، السبكي، ج الدين عبد الوهاب(المتوفى:771 ه) طبقات الشافعية الطبعة:1413 ه، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ج:3، ص:200

[16] : الطبراني، سليمان بن أحمد (المتوفى: 360هـ)، المعجم الكبير، الطبعة: مكتبة ابن تيمية–القاهرة، رقم الحديث:10107

المصادر والمراجع:

1: القرآن الكريم

2: ابن ماجة، أبو عبد محمد بن يزيد القزويني(المتوفى :273هـ) تحقيق: محمود خليل، الطبعة: مكتبة أبي المعاطي

3: جورج طرابيشي،(المتوفى:2006م) معجم الفلاسفة، الطبعة:2016م، دار الطليعة، بيروت

4: محمد عادل، عباد الرحمن، الطبعة: 1990، ملتان

5: خواجه، عبيد الملتاني(المتوفى:1305 ه)، سرِّ دلبران مترجم محبو نِ خدا كى راز، الطبعة:1434 ه، مكتبه فيضانِ سنت

6: السيد، امتياز حسين شاه، تذكره أولياء ملتان، الطبعة: كتب خانه حاجي نياز أحمد ملتان، ص:124

7: الحسني، عبد الحي(المتوفى:1341 ه)، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، الطبعة:1420 ه،دار النشر،بيروت

8: السيد، امتياز حسين شاه، تذكره أولياء ملتان، الطبعة: كتب خانه حاجي نياز أحمد ملتان، ص:124

9: زركلي، خير الدين بن محمود (المتوفى:1396هـ)، الأعلام، الطبعة:2002م، دالعلم للملايين

10: السبكي، ج الدين عبد الوهاب(المتوفى:771 ه) طبقات الشافعية الطبعة:1413 ه، هجر للطباعة والنشر والتوزيع

11: الطبراني، سليمان بن أحمد (المتوفى: 360هـ)، المعجم الكبير، الطبعة: مكتبة ابن تيمية–القاهرة